﴿ تتمة الاجتماع الرابع بجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا اقلبنا فى البحث إلى ماهو الشرك فى نظر القرآن وأهله لنتقيه نجد أن الله تعالى قال فى اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأحبار والرهبان من ادعى المماثلة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجى الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى فى التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمى قريشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أى يخصصون الخالقية بالله . ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فحكى عنهم قوله « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون التوسل بهم وسائط ويقولون إنه لابد من الواسطة بين العبد والرب « وإن الواسطة لانكر »

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ماعبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بندائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا فى احترام تماثيلهم يغضبون فيضرونهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل إليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته فى قوله جل كلمه « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى صرح النبى صلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شرك فقال «من حلف بغير

الله فقد كفر وأشرك »(١) وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركا وحرم تسييب السوائب والبحائر لما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة هياكل لأصنامهم يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقرباً من الأصنام فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى (٢) » فلا ريب إذن أن هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرجى)

فانظر الآن هل في [illegible] الإسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهها في الصورة أو الحقيقة [illegible] من لا [illegible] في الله [illegible] لأنا لا نرى بدا من التصريح بأن حالة السواد الأعظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وان الدين عندهم عاد غريبا كما بدأ كشأن غيرهم من الأمم . فمنهم الذين استبدلوا [illegible] القبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها السرج وأرخوا عليها الستور يطوفون حولها مقبلين [illegible] أركانها ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد و [illegible] الله [illegible] وينذرون لها النذور ويشدون لأجل إليها الرحال ويعلقون بسكانها آمالهم يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم و[illegible] بالخضوع [illegible] وضراعة وخشوع أن يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات وغير ذلك من الخشية والتعظيم لغير الله(٣) والخوف والرجاء من سواه

ومنهم من [illegible] عن ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظميهم [illegible] الدعاء تبركا وذكرا ودعاء يعلقونها على الجدران في بيوتهم [illegible](٤) ويتوجون بها الأعلام من نحو « يا على ، يا شاذلى ، يا دسوقى ، يا [illegible] ، يا بهاء الدين النقشى ، ياجلال الدين الرومى ، يا بكتاش ولى »

ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكراً مشوباً بإنشاء المدائح لغلاة شعراء المتأخرين التى أهون ما فيها الإطراء الذى نهانا عنه النبى عليه الصلاة والسلام

---

(١) المنار — الحديث رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبى هريرة ورويا عن أبى سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أى من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك . كذا فى هامش الأصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم (١) » وبإنشادهم مقامات شيوخية تغالوا فيها فى الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركى قريش قولهم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك (٢) » وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التى يهدرون بها إنشاداً بأصوات عالية مجتمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا جيلانى   ياذا الفضل والإحسان
صرت فى خطب شديد   من إحسانك لا تنسانى

وقولهم

الآهم يا رفاعى لى   أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعى لا تضيعى   أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى غير ذلك مما لا يشك فيه شاك أنه من صريح الإشراك الذى يأباه الدين الحنيف

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا أحكاماً فى الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الأولى المشهود لهم بالفضل فى الدين . علماً انتزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا أن نقول فى المتشابه منه (آمنا به كل من عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شأنه فى حقهم (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وقال تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيدات من مشكلات الأحاديث والآثار . ومما جاء عن النبى عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل العادة أى لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التى وضعها أساطينهم أغراباً فى الدين لأجل جذب القلوب كهذا الحديث الذى ننقله بالمعنى وهو (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل

---

(١) لفظ الحديث « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخارى والترمذى فى الشمائل ولا أذكر غيرهما الآن (٢) ينقل عنهم « إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لاتومن بهم فيه لعلى اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لأحتظرن من بيتى مسجدا لعلى اتبع فيحتظر من بيته مسجدا فلايتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من بيتى مسجدا فلم اتبع والله لآتينهم بحديث لا يجدونه فى كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلى اتبع »

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبى عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبوبكر وعلى وبلال رضى الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يأفكون . أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبى عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرحى)

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا فجعلوا منه التغنى والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك السفهاء ويسرهبون الحمقى

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والخبل خشوعاً والصرع وصولا والهذيان عرفانا والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل أو أحكام النجوم أو الروحانى أو الزايرجه أو الأبجديات أو بالنظر فى الماء أو السماء أو الودع أو باستخدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام فى كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من عزيز الكمالات فى دين الإسلام « مرحى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها إما شرك صراح أو مظنات لشرك حكمها فى الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما جر الأمة إلى هذه الحالات

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجوع بها إلى الشرك الأول الا الميل الطبيعى للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين فى الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبى عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فانا آخذ فى حجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » (١) وقد قال الله تعالى فى العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لايهوون « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله فى القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبى عليه السلام فى قوله « إن الله لايقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولننتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد فى الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

---

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدى » (٢) رواه الترمذى وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو ولفظ مسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفى البخارى « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا لم يبق عالم » كما هنا